

الباب الرابع

الاستراتيجية الظاهرية «الفينومولوجية»

The Phenomenological Strategy

الفصل الثالث عشر

مقدمة (للاستراتيجية الظاهرية)

- ١ - علم الظاهرات (الفينومنولوجية) والاستراتيجية الظاهرية .
- ٢ - النظرية الظاهرية للشخصية .
- مفهوم الذات .
- علم النفس الوجودي والاستراتيجية الظاهرية .
- ٣ - التقويم التشخيصي الظاهراتي للشخصية .
- ٤ - طرق البحث الظاهراتي في الشخصية .
- ٥ - تغير الشخصية وعلاجها من الوجة الظاهرية .

مقدمة (للاستراتيجية الظاهرية)

يهتم علم النفس في حقائق الأحداث الفيزيقية والعضوية من وجهة نظر الشخص المستقبل لها. في الواقع ، إن الأسئلة حول الإختبارات والتجارب الذاتية والخاصة ، هي من بين أوائل الأسئلة المطروحة من قبل علماء النفس (James 1890).

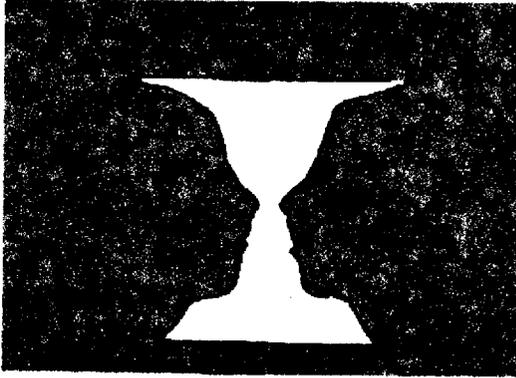
إن ردود فعل الناس نحو الأحداث الموجودة في محيطهم الفيزيقي والشخصي يعتمد ببعض درجاته على معنى meaning تلك الحوادث لهم ، وعلى التفسير الذي يعطيه الفرد لتلك الأحداث.

١ - علم الظاهرات (الفينومولوجية) والاستراتيجية الظاهرية

Phenomenology and the phenomenological Strategy

إن حقيقة الظاهرة phenomena تعتمد على طريقة إدراكنا لها ، وهذا جوهر علم الظاهرات. كما أنها الأساس في الطريقة الظاهرية للشخصية. فما هو حقيقي لشخص ما ، هو بالحقيقة ما هو موجود في الإطار الداخلي المرجعي للشخص Internal Frame of Reference أو عالمه الذاتي subjective World وهذا يضم كل شيء يعيه الشخص في وقت معين لعدة قرون خلت ، كان الاتجاه الظاهراتي موضوع جدل ، وخاصة بين فلاسفة العلم. حيث أنه يبدو كأنه ينكر إمكانية إنشاء «حقائق ووقائع موضوعية» «Objective Facts» ولكن الفلاسفة المحدثين والعلماء المعاصرين بدأوا بتركيز اهتمامهم على الجوانب الظاهرية لكل الخبرات والتجارب وفوق ذلك لكل المعارف اعتماداً على التفسير الشخصي الذاتي (Heelan 1983, Manicas and Secord 1983) إن

جوهر هذا التقبل الجديد هو التمييز والمعرفة المتطورة بأن الإدراك هو فعل أو سلوك تفسيري perception is an Interpretive act وليان معنى ذلك ، انظر إلى إناء الخمر في الشكل ١٣ - ١ ثم تابع قراءتك في هذا البحث . الآن انظر إلى الوجهين في القسم المظلل في نفس الشكل . وانظر إلى الشكل بكامله . فإنك ستري أنها تبدو متراوحة بين الإناء والوجهين (بعض الناس يراها على أنها إناء أو مزهرية وكذلك على أنها وجهان معاً) . فهل هذا الشكل إناء خمر أم أنه منطقتان مظلتان؟ إنه بالحقيقة كلا الأمرين ، كما أنه ولا واحد منهما . إن ذلك يعتمد على كيفية تفسير الشخص المدرك (المستقبل) للشكل نفسه . إن ما نراه أكثر من مجرد مرآة صغيرة للعالم الخارجي . إن الشكل لا يتغير أبداً من مجرد مرآة صغيرة للعالم الخارجي . إن الشكل لا يتغير أبداً عندما يتحول إدراكنا ويتنقل من الإناء إلى الوجهين ، إن التغير يتم فقط في عقولنا (في الشخص المدرك) .



الشكل ١٣ - ١ الشكل والخلفية المعكوسة ، في تبادل : الوجهين والإناء

إن الشكل (تعبيره) فقط في عقولنا only in our mind لا يعني أن الإدراك الخاص الشخصي غير هام كما أنه لا يعني أن الظاهرة الذاتية الشخصية - كالتغير والانتقال من الوجهين إلى الإناء - غير موجودة. إن علماء علم الظاهرات يصفون الوقائع والحقائق الخاصة والشخصية على أنها حقيقية مثلها مثل الوقائع الخارجية المادية. ولهذا الوضع أهميته التطبيقية والعملية الكبيرة مثلاً ، فقد طبق الآن في تخطيط المدن «ومع أن أكثر الطرق السابقة في تقويم نوعية المدن قد قاد الباحثين إلى دراسة عوامل مثل مستوى الضجيج والصوت والغبار والأوساخ ، فإن العمل الجديد قد بين كيفية استقبال الناس وإدراكهم الحقيقي لبيئتهم على أن له أهميته التي تماثل أهمية البيئة ذاتها» ، (Goleman 1985).

من وجهة نظر التنبؤ بالسلوك ، يقول علماء علم نفس الظاهرات ، إن الحقيقة الفعالية تكون حقيقة كيفما يتم إدراكها. فشخصان ينظران لنفس الموقف أو الوضع ، ربما يدركانه بطرق مختلفة ، وكل واحد منهما يفسره بشكل مختلف (وهذا ما يبدو في الشهادة الواقعية لحادث مروري).

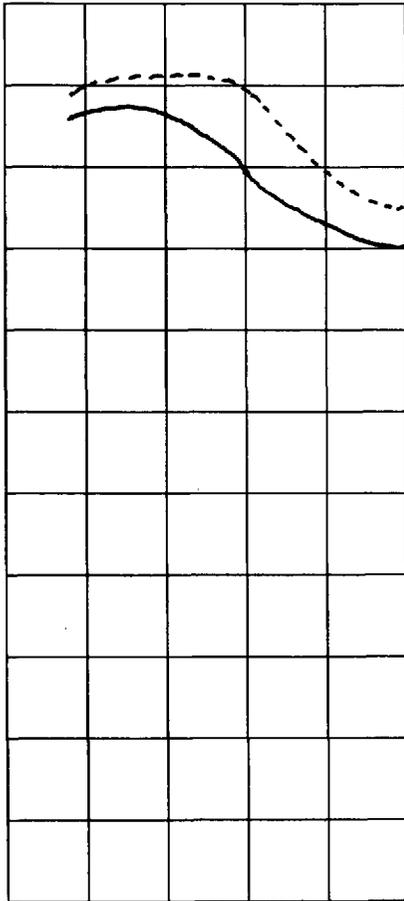
إن أهمية الطريقة التي تدرك وتُخبر بها الأشياء شخصياً قد ظهرت في أعمال وتجارب جير ودافيسون وجاتشل (Geer, Davison, Gatchel 1970) فقد افترض هؤلاء العلماء أن الضغوط والشدائد النفسية Stress تتحدد ليست فقط بصفات الموقف الموضوعية ، ولكن أيضاً بتوقع الشخص واعتقاده بقدرته أو عدم قدرته على التحكم به وبما سيقع. ففي تجاربهم ، تلقى المفحوصون جميعهم عدداً من الصدمات الكهربائية المتشابهة. ولم يكن لأي منهم القدرة على التحكم بالصدمة. ولكن بعضهم اعتقد أن باستطاعتهم التحكم بها ، بينما اعتقد الآخرون بعدم قدرتهم على ذلك.

لقد قيل للمفحوصين: أن التجربة هي دراسة لزمان رد الفعل أو ما يسمى زمن الرجوع reaction time وقد أجريت على مرحلتين. المرحلة الأولى ، وعومل فيها كلُّ المفحوصين بنفس الطريقة (بصورة مشابهة)

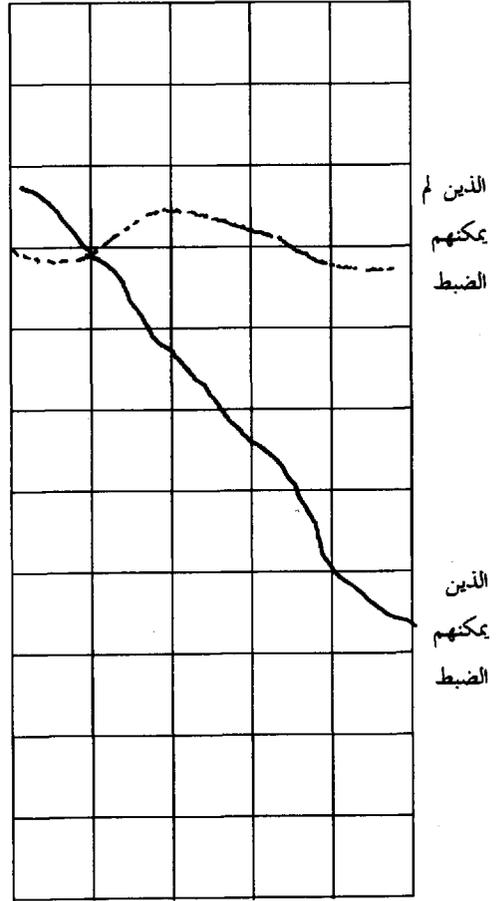
حيث تعرضوا لصدمات كهربائية مؤلمة ، مدة كل واحدة منها ٦ ثوانٍ .
وطلب منهم الضغط على زر حالما تبدأ الصدمة . وهذا الأمر كان من أجل
قياس زمن الرجوع . خلال هذه الفترة ، كان يتم تسجيل التنبه والاستثارة
الخاص بقياس التوتر والشدة النفسية stress أما في المرحلة الثانية ، فقد
تم تعيين المفحوصين الذين يمكنهم التحكم بالموقف (الصدمة) حيث
أخبروا أن بإمكانهم إيقاف استمرارية الصدمة العاشرة إذا ما ضغطوا على
الزر الذي كتب عليه «إيقاف السرعة» ، (السرعة الضرورية قد تُركت غير
محددة) أما المفحوصون الآخرون فقد عيّن لهم شروط عدم القدرة على
التحكم بالصدمة ، حيث أخبروا فقط ، بأن الصدمة العاشرة ستكون
أقصر . في الواقع ، تعرض المفحوصون للصدمات التي تستغرق ثلاث
ثوانٍ ، في حين درجة تنبههم واستثارتهم كان يتم قياسها أيضاً .

إذا قلنا: إن التوتر والضغط أو الشدة النفسية يتحدد جزئياً بقدرة الفرد
على التحكم بالموقف وضبطه ، فإن المفحوصين الذين تلقوا شروط التحكم
والضبط سيختبرون (يمثّون) بدرجة أقل من التنبه والإثارة خلال المرحلة
الثانية بالمقارنة مع أقرانهم الآخرين الذين لم يتلقوا تعليمات حول كيفية
التحكم والضبط . ويوضح الشكل ١٣ - ٢ ما حدث في كلتا المرحلتين .

المرحلة الأولى



المرحلة الثانية



الصدّات

الشكل ١٣ - ٢ تأثير درجة التحكم والضبط على مقدار التنبه والإثارة التي
 اختبرها المفحوصون خلال تعرضهم للصدّات الكهربائية

لم تختلف المجموعتان من المفحوصين في التنبه والإثارة بالمرحلة الأولى ، بينما اختلفتا في المرحلة الثانية .

إن الطريقة الظاهرية في الشخصية تبين أن السلوك يمكن فهمه فقط من وجهة نظر الشخص ذاته . إن هذه الاستراتيجية تركز على التجربة والخبرة الذاتية للفرد . إنها تلك الخبرات التي توجه السلوك وتحركه . إن التجربة الذاتية للفرد ربما تتطابق مع الحقيقة الموضوعية أو الواقع الموضوعي Objective reality ويمكننا أن نعرف الأخيرة (أي الحقيقة الموضوعية) على أنها شيء ما يوافق عليه عدد من الملاحظين .

في العديد من الحالات ، تكون الحقيقة الخارجية أقل وضوحاً . وبالنسبة لهدفنا العملي ، فإن ما يدركه الشخص تجربة ذاتية تحدد الحقيقة النهائية للموقف والوضع الذي يمر به الشخص لنفترض أن طفلة في الثامنة من عمرها ، وقد انتقلت عائلتها إلى مدينة جديدة ، وبعد مضي يوم دراسي في المدرسة الجديدة سألتها الوالدان السؤال التالي : «كيف كانت المدرسة اليوم؟» إن الطفلة تجيب «إنني أكرهها . إن الأطفال غير ودودين ، فعندما أدخل الصف يحدق بي كل الأطفال . إنهم يعتقدون أنني أبدو مضحكة . هناك فقط طفلان في كل الصف تكلموا معي عند الظهر» .

لنفحص الآن كيف أدركت الطفلة نفس الوضع والموقف بشكل مختلف تماماً ، وعبرت عن خبرة أخرى مختلفة :

«إنني أحبها ، والأطفال ودودون ، وعندما دخلت الصف بدوا جميعهم مهتمين بي ، وكانوا ينظرون إلي ويتسمون ، وهناك طفلان لا أعرفهما ، قد أتيا للتحدث معي عند الظهر» .

إن نفس الوضع قد يقود الطفلة للمرور بأي من التجربتين المختلفتين تماماً . إن ردود فعلها بالطبع ستختلف وفقاً لإدراكها للموقف .

من وجهة النظر الفلسفية ، لا يوجد مشكلات عملية في علم الظاهرات تتعلق بالمعرفة الذاتية الخاصة . ولكن عند دخول الفينومولوجية مجال علم النفس ، تنشأ معضلات عديدة . إن علم النفس هو جهد علمي ، يحاول أن يتعامل مع المعرفة الموضوعية objective Knowledge . والمعرفة الموضوعية تأتي من الملاحظات التي يتفق عليها آخرون في حين تضم المعرفة الذاتية Subjective knowledge فقط خبرة الفرد الخاصة ويحاول علماء علم نفس الظاهرات حل هذه المشكلة بالبحث والسعي لما يسميه كارل روجرز (١٩٦٤) المعرفة الفينومولوجية (الظاهرية) Phenomenological Knowledge ويشمل هذا ، تفهم الشخص من خلال إطاره المرجعي الداخلي والخاص به .

إن أهمية الخبرة الذاتية ، لاقت ترحيباً كبيراً في السيكولوجية اليومية . ونحن نستعمل تعبيرات مثل «الجمال والأناقة واحدة في عيون كل المشاهدين» . «ما يمثل لحماً لشخص ما يكون سماً لشخص آخر» مثل هذه الأقوال الشائعة تشدد على دور الخبرة الذاتية في تحديد السلوك والأفعال . إنها تبين أيضاً ، أن الخبرة الظاهرية ذات أهمية في تفهم السلوك والتنبؤ به . ربما لا نرى أشياء كما يراها الآخرون ، وهذا ربما يقودنا لصعوبات شخصية وبين شخصية interpersonal مثلاً ، قد نقول نكتة حول حدث ما ، ربما يأخذها شخص آخر بجدية .

سوف نناقش طريقتين (اتجاهين) مختلفين بعض الشيء في النظرية الظاهرية . الأولى وهي اتجاه (طريقة - نظرية) تحقيق الذات - self actualization لكل من كارل روجرز وإبراهيم ماسلو . وكلاهما يشدد على تفهم الشخصية والسلوك بالاعتماد على نزعات الشخص البيولوجية والمتعلمة أو المكتسبة الخاصة به والمميزة له ، وذلك من أجل تطوير توجهاته وسلوكه الخاص والثانية هي اتجاه (نظرية) جورج كليلي الخاص بالأبنية أو التراكيب الشخصية . حيث تبحث نظريته في كيفية تفسير الناس

للأحداث اليومية التي يمرون بها وكيفية تعاملهم معها ، ويعمل ذلك يمكن تنمية شخصياتهم الفريدة وتطويرها. إن هذه الاتجاهات (النظريات) الظاهرية تختلف من حيث الافتراضات الأساسية حول طبيعة الشخصية. ولكنها متفق من حيث الافتراضات المتعلقة بنظرية الشخصية ، قياسها وتشخيصها ، البحث فيها ثم تغييرها وعلاجها. هذه الافتراضات هي أساس الاستراتيجية الظاهرية في الشخصية.

٢ - نظرية الشخصية من الوجهة الظاهرية

«Phenomenological Personality theory»

يعرض جورج كيللي وكارل روجرز نظريات موسعة وشاملة للشخصية إنهما يحاولان تقييم مدى واسع من أشكال السلوك الإنساني. لقد تطورت نظريتهما جزئياً ، خارج إطار الممارسة الإكلينيكية العلاجية التي مارسها كل منهما في مجال السلوك الشاذ والاضطرابات النفسية ، وفوق ذلك ، فإنهما مهتمان بجانب الشخصية: الجانب السوي «الصحيح» «healty» والجانب الشاذ «المرضي» «sick».

بالمقابل فإن نظرية إبراهيم ماسلو أضيق narrower إنها ليست نظرية شاملة للشخصية. بدلاً من ذلك ، فإن ماسلو يركز على التفسيرات أو الشروحات النظرية والفرضية للمظاهر المختلفة للسلوك البشري. وباعتباره باحثاً منظرًا (واضع نظرية) ، فإن ماسلو يبقى الوحيد تقريباً في تشديده على الجانب الإيجابي والسوي في الشخصية Positive - healty Personality مثلاً ، إنه يعتقد بأن كل فرد يملك إمكانية النمو والتطور. وبذلك فإنه اكتشف التوظيف المثالي أو السلوك الوظيفي المثالي والكامل للشخص والذي يحاول أن يتوجه إليه الشخص.

إن نظريات روجرز وماسلو وكيللي ، تركز على الوظائف السلوكية العالية والراقية للإنسان. فهذه النظريات تتضمن كيفية تفسير الإنسان

لخبراته وتجاربه الخاصة ، على العكس من الاستراتيجيات الثلاث الأخرى (التحليلية والسلوكية والسمات) التي تركز على الوظائف الدنيا والسلوك الوظيفي الأدنى lower مثل المنعكسات والغرائز والمثيرات . إن كل نظرية ظاهرية سنناقشها ، تبحث وتأخذ في حسابها الحاجات والدوافع البيولوجية الرئيسية ، ولكن نظريتها في الشخصية تبدأ من النقطة التي تشعب فيها تلك الحاجات وتحقق .

إن أحد الموضوعات الهامة في النظريات الظاهرية هي أن البشر بطبيعتهم موجودات فعالة ونشطة active being وبذلك فإن علماء علم نفس الظاهرات يتجنبون جزئياً المشكلة الأساسية لشرح الدافعية . إن هذه النظريات تعتبر الكائنات الإنسانية أعضاء فعالة وليست موضوعات سلبية Not Passive objects وتفترض أن الناس يقومون بردود أفعال مع with الأساس البيولوجي والبيئة ، إنهم ليسوا مجبرين للعمل والسلوك بسبب أو بواسطة لها by هذه العوامل .

إن علماء علم نفس الظاهرات يهتمون بتوجه السلوك . ففي المدى الواسع إنهم يجيبون على أسئلة كالتالي : لماذا يقضي بعض الناس حياتهم في تجميع النقود ، بينما يريد آخرون الشهرة والمكانة؟ وفي المدى الضيق فإنهم يضعون ويصوغون ملاحظاتهم المتعلقة بوقائع يومية: مثل لماذا يدرس شخص ما دائماً في اللحظات الأخيرة قرب موعد الامتحان في حين يبدأ بعضهم دراسته في وقت مبكر؟ ولشرح مثل هذا التوجه في السلوك هناك مبادئ عامة يجب معرفتها والنظرة إليها . إن روجرز يقول: إن السلوك يكون مدفوعاً بميول ونزعات الفرد لتحقيق الذات . ويفترض ماسلو أن السلوك يتحدد بسبب هرمية الحاجات . في حين يفترض كيلي أن الناس يتصرفون ويسلكون لرفع قدراتهم على المشاركة في أحداث حياتهم اليومية .

كيف تعمل هذه المبادئ العريضة والعامة في توجيه سلوك الفرد

وتحريكه؟ هذا السلوك الذي يختلف من شخص لآخر.

إن النظريات الظاهرية في الشخصية لا تنظر للناس على أنهم نشيطون وفعالون فقط ، وإنما على أنهم موجودون في حالة عامة من التغير المتواصل *general state of Flux* وكما وضع روجرز «إن الحياة عملية متدفقة ومتغيرة حيث لا شيء يبقى ثابتاً». هذا المفهوم الدينامي للشخص يرتبط بالتركيز الفينومولوجي الظاهراتي على هنا- والآن ، *here - and now* ، أو على التجربة الآنية *momentary experience* ، على النقيض من الحاضر *present* الذي يعني هذه الساعة أو هذا اليوم ، أو حتى هذه السنة ، فإن هنا- والآن تعزى إلى ما يحدث في هذه اللحظة الآنية.

إن علماء سيكولوجية الظاهرات يركزون على أهمية تأثير التجارب والخبرات الماضية في السلوك الحاضر. ولكنهم ينظرون إلى الماضي فقط من حيث تأثيره في المدركات الحاضرة الحالية. إن النظريات الظاهرية تُعير انتباهاً ضئيلاً للصفات الثابتة ، المستمرة (تركيز الطريقة الفلسفية) أو إلى أنماط الحياة المستمرة وأشكالها التي تنشأ في مرحلة الطفولة (كما تركز استراتيجية التحليل النفسي).

إن نظريات روجرز وماسلو وكيلي تعتبر كئيّة *holistic* أي أنها تنظر للسلوك وتفسره بلغة شخصية الفرد الكلية الكاملة. مثلاً ، يشدد روجرز على أهمية الثبات أو الاتساق بين: كيف ينظر الناس لأنفسهم؟ وكيف يرغبون أنفسهم أن يكونوا؟ وكيلي ، لا يميز بين الأفكار والمشاعر والأفعال أو السلوكيات ، إنه ينظر إليها ويدرسها كاملة على أنها عمليات نفسية *psychological processes* محكومة بنفس المبادئ.

أ- مفهوم الذات : *The concept of self*

الذات ومفهوم الذات بناء فرضي نظري استعمله علماء النفس الظاهراتيون لتمثيل الثبات والاتساق والتنظيم في الشخصية وشرحه.

لقد اقترح وايلي wylie (١٩٦٨) أن الذات تبدو كبناء أو تركيب معقد لعدد من المظاهر المتداخلة إنه المفهوم الشامل الذي يتضمن كل النماذج التالية:

- ١ - الإحساس الذي يمر به الفرد على أنه هو نفس الشخص طوال الزمن .
- ٢ - الصفات الجسدية للفرد كما يختبرها بنفسه كشخص .
- ٣ - السلوك الماضي للفرد كما يتذكره ويختبره وخاصة المدركات سواء تلك التي حدثت بالصدفة أم نتيجة تحكمه بها .
- ٤ - خبرة الفرد بوحدة وتنظيم المظاهر المختلفة لمفهوم الذات الخاص النوعي .
- ٥ - التقييمات والأفكار والذكريات .
- ٦ - الدرجات المختلفة للشعور واللاشعور .

إن الشكل ١٣ - ٣ يبين لنا مفهوم الذات النوعي بأجزائه المختلفة إن هذه الأقسام الفرعية هي مفهوم الذات الواقعي actual self - concept (كيف نكون بالواقع) ، ومفهوم الذات المثالي ideal self - concept (ما نرغب أن نكون) إن مفهوم الذات الواقعي يضم أيضاً فرعين هما: مفهوم الذات الخاص private self - concept (أي الطريقة التي ننظر فيها لأنفسنا) ومفهوم الذات الاجتماعي social self - concept (أي الطريقة التي ننظر فيها الآخرون إلينا - أي نظرتهم لنا) . أما مفهوم الذات المثالي فيضم أيضاً فرعين هما: الأول يتعلق بالطريقة التي نرغب فيها أن نكون (الشكل الذي نرغب أن نكون عليه) وهو ما يسمى مفهوم الذات المثالي الخاص . والثاني نظرة الآخرين المثالية للشخص وهو ما يسمى مفهوم الذات المثالي الاجتماعي .

التعريف العام والشامل
لمفهوم الذات

مفهوم الذات النوعي الخاص

مفهوم الذات المثالي

مفهوم الذات الواقعي

الأقسام الفرعية لمفهوم
الذات النوعي الخاص

مفهوم الذات
الاجتماعي
(المثالي) (نظرة
الآخرين المثالية عن
الشخص)

مفهوم الذات
الخاص المثالي
(نظرة الشخص
المثالية لذاته)

مفهوم الذات
الاجتماعي

مفهوم الذات الخاص

أقسام أخرى بالنسبة
للمحتوى الذاتي والأبعاد
المرجعية

الشكل ١٣ - ٣ وفيه تحليل وإيلي لمفهوم الذات وأقسامه

ب - علم النفس الوجودي والاستراتيجية الظاهرية :

إن للاتجاه الظاهراتي (الفيونومولوجي) في الشخصية صلة وثيقة بالحركة الوجودية في علم النفس . إن رولو ماي Rollo May (١٩٦٧) هو القطب البارز في علم النفس الوجودي . إنه يصف الحركة الوجودية بأنها «اتجاه وموقف ، إنها طريقة في الوجود الإنساني أكثر منها مدرسة خاصة . . . إنها ليست نظاماً علاجياً ولكنها اتجاه وموقف نحو العلاج ، إنها ليست مجموعة جديدة من التقنيات ولكنها اهتمام بتفهم بنية وتركيب الوجود الإنساني وخبرته» . إن هذا الموقف الوجودي يتطلب فهماً وتجربة أو خبرة بما يختبره الفرد ويمر به من تجارب وأحداث إنها تفترض أن على علماء النفس أن يحاولوا معرفة الناس know people أكثر من مجرد المعرفة حول الناس know about people .

هناك موضوعان في علم النفس الوجودي يمثلان المركز في الاستراتيجية الظاهرية وهما: الإرادة الحرة للفرد ، وفرسته للاختيار وبطريقة أخرى سوف نلاحظ الموضوعات المرتبطة بالإرادة الحرة والاختيار بشكل متكرر في النظريات الظاهرية في البحوث القادمة. إن كلاً من روجرز وماسلو يفترض أن الأفراد قادرون على توجيه حياتهم الخاصة والتحكم بها. إن نموذج روجرز لتغير الشخصية يضم إيجاد الشروط المؤدية لإحداث نمو الذات وتطورها self - growth - إن نظرية جورج كيللي في الشخصية يعتمد على الفرضية القائلة إن الناس يمكنهم الاختيار والنظر والفحص لأحداث حياتهم اليومية بطرق مختلفة. والصفة المميزة والأخيرة التي تتصف بها الاستراتيجية الظاهرية (بنظرياتها المتنوعة) ، هي أن الإنسان منطقي عقلي vational ، وأفعاله هي استجابات محسوسة senseble responses للعالم كما يدركها. وهذا يعني أن الناس يعون aware عملياتهم النفسية ، إن الاستراتيجية الظاهرية بسبب ذلك تشدد على الخبرة أو التجربة الشعورية conscious experience .

٣- تشخيص الشخصية وتقويمها من الوجهة الفينومولوجية

phenomenological personality assessment

إن قياس الشخصية وتشخيصها يمثل صعوبة بالنسبة للاستراتيجية الظاهرية. كيف يمكن للشخص (أ) أن يعرف طريقة إدراك الشخص (ب) وكيفية استقباله للعالم ، عندما يكون الشخص (أ) عارفاً بشكل حقيقي لما يصفه الشخص (ب) بغض النظر عن الدقة والأمانة ، كيف يمكنك التأكد بأن الخبرة التي يصفها الشخص الآخر هي مماثلة ومتشابهة لتلك الخبرة الموجوة في عقل شخص آخر؟ ففكر في المعاني الممكنة للتعبير البسيطة التالية مثل «إنني متعب» إن هذا يقدم إشارة إلى النزاع والتحيز المناهض

لمعرفتك الدقيقة لما يقصده ويعنيه الناس بالضبط عندما يقولون: أنا مزعور فزع» أو «أنا أحبك». إن الاستراتيجية الظاهرية تهتم بالخبرة الذاتية ، ولذلك فإن قياس الشخصية وتشخيصها من الوجهة الظاهرية يجب أن يتضمن الحصول على معلومات عن الأحداث الخاصة والذاتية للشخص. وهذا يعتبر مهمة جوهرية أساسية في القياس والتشخيص في التحليل النفسي. ففي كل من الاستراتيجيين (التحليلية النفسية ، والظاهرية) فإن السلوك ليس الوحدة الأساسية للشخصية ، كما أنه ليس المصدر (الوسيط) الوحيد للوصول إلى الشخصية .

تأمل الطالب الذي لا يتحدث بصوت مسموع في الصف ، ماذا نستنتج من هذا السلوك؟ فهل هذا يعني أن الطالب لم يحضر واجبه ودرسه لهذا اليوم ، ولذلك فإنه لم يُعدّ نفسه للمشاركة؟ أم أنه درس واضطلع بمهامته ولكنه يخشى من الظهور أمام الآخرين بالصف؟ إن سلوك الطالب في أي يوم سوف لا يقدم لنا إجابة عن هذه الأسئلة ، لأن نفس السلوك قد يكون له معانٍ مختلفة تماماً. في المدى الواسع والعريض ، فإن السلوك يزودنا بمعلومات عن شخصية الفرد ، ولكن من أجل معلومات أكثر دقة وخصوصية علينا أن نجد معنى لسلوك الشخص في الواقع ، إن كل القياسات والتقويمات الظاهرية للشخصية موجهة للبحث أو الكشف عن المعنى meaning إنه معنى الخبرة والتجربة التي تشكل شخصيات الناس وتحدد أفعالهم وسلوكياتهم أحياناً نشوّه نظرتنا للأشياء بسبب نظرة الآخرين. فلتأمل حالة طالب الجامعة أحمد ، فقد قال لوالديه: إنه يريد ترك الجامعة (الدراسة) لأنه لم يتعلم أي شيء مفيد ومثمر ، لقد قال له والداه: «أنهما فهما بالضبط ما يشعر به ، عندما كانا هناك بالجامعة وبدا عليهما حينها التعب والإنهاك وكانا بحاجة للراحة والهدوء» لقد أراد والداه أن يأخذا استراحة لعدة أيام إن ما فهمه الوالدان هو أنهما شعرا به بسبب مرورهما بنفس الوضع وما خبراه. إنهما لم يعرفا ما هو شعور

ابنهما أحمد. إن المعرفة الظاهرية (الفيونولوجية) موضوع أو مادة لما
تعنيه الخبرة بالنسبة للشخص What the experience means for the
person إنها لا تضم ما تعنيه الخبرة بالنسبة للفاحص (الباحث) أو للناس
عموماً.

إن جوهر التقويم (القياس) الفيونولوجي للشخصية وتشخيصها هو
محاولة الباحث (الفاحص) فهم الخبرات الذاتية من خلال الإطار
المرجعي الداخلي للفرد المرتبط بخبراته وتجاربه الذاتية الخاصة.
ويتطلب هذا ، الاندماج والمشاركة الوجدانية Empathy تفهم خبرات
الشخص بلغة ما تعنيه له ومعايشتها إنها تستلزم تجاهل خبراتنا (خبرات
الفاحص) وانطباعاتنا المسبقة حول تلك الخبرات التي يمر بها
المفحوص. إنها بدلاً من ذلك ، تتطلب منا محاولة الوصول إلى المعنى
الذاتي لوصف الشخص اللفظي ولخبراته وتجاربه الخاصة.

إن التقويم الفيونولوجي للشخصية وكذلك تشخيصها يركز على
الحاضر ، وغالباً على هنا - والآن here - and now إن للخبرات الماضية
أهميتها فقط في المدى الذي توضح لنا من خلاله خبرات الحاضر
ومدركاته. مثلاً ، في الممارسة ، غالباً ما يتجاهل التشخيص والتقويم
الروجرزي (نسبة لروجرز) للشخصية ماضي الفرد ، كما أن تقنية كييلي
القياسية التشخيصية تتعامل مع الماضي بشكل مقتضب وضعيف.

إن القياس والتشخيص الفيونولوجي للشخصية مباشر وصريح على
العكس من الأسلوب الاستنتاجي الخاص بالاستراتيجيتين التحليلية
النفسية والسمات ، إن أكثر التقنيات القياسية والتشخيصية الظاهرية ،
تضم مقاييس تقرير الذات وبخاصة تقرير الذات اللفظي - verbal self
report هذه الأوصاف للخبرات الذاتية تكون مقبولة بدرجة عالية أو
منخفضة استناداً إلى قيمتها ومصداقيتها. إنها ليست إشارات ودلائل على
الحالة النفسية (الصراع النفسي الخارجي) كما أنها ليست مستعملة للتدليل

على الاستعداد الأساسي للفرد أو السمة ويبقى القياس والتشخيص في مستوى المعرفة الفينومولوجية .

إن الخبرات الشعورية تعتبر دلائل مباشرة على الوظائف الهامة للشخصية ، وليس بالضرورة إشارات ودلائل على العمليات الشعورية الأساسية. إن الافتراض الأساسي للاستراتيجية الظاهرية هي أن الناس عموماً يعون خبراتهم وتجاربهم الشعورية. بالواقع إن هذا الوعي (للخبرات) يفترض أن يوجه السلوك ويحركه *this awarness is to Direct behaviour* إن هذه الاستراتيجية تولى أهمية كبيرة للخبرات التي تكون خارج نطاق الوعي (أي لا شعورية) ، ولكنها لا تعتبرها محددات رئيسية للسلوك السوي *normal Behavior* إن العمليات اللاشعورية تلعب دوراً هاماً في السلوك الشاذ (غير السوي) *Abnormal Behavior* .

٤ - طرق البحث الفينومولوجي في الشخصية

phenomehological vesearch

الطرق الرئيسية الثلاثة للبحث في الشخصية - التجريبية ، والترابطية ، ودراسة الحالة - قد استخدمت جميعها في الاستراتيجية الظاهرية ، على الرغم من غلبة طريقتي دراسة الحالة والترابطية فيها. ويهتم روجرز وماسلو بشكل خاص في فحص الناس كما يتواجدون وهذا يتضمن استعمال الطريقتين الترابطية ودراسة الحالة أكثر من استعمال الطريقة التجريبية. إن الطريقة أو الاتجاه الوجودي *Existential approach* يضم الحصول على المعلومات عن الناس «*Knowledge of people*» أكثر من الحصول على معلومات ومعارف عن الناس «*Knowledge from people*» ووفقاً لهذا المنظور فإن روجرز (١٩٧٣) أوجد طريقة للبحث ، لا تنظر إلى الشخص كموضوع *object* للدراسة ، ولا أن «يدفع الفرد إلى موقف أو وضع مصطنع لفحص بعض الفرضيات اقترحها». وبدلاً من ذلك فإنه

يقترح على علماء النفس أن يدرسوا الشخصية عن طريق التعلم من الناس learning from people من خلال الإصغاء لهم والاستماع لما يقولونه . ويركز البحث الفينومولوجي على التجارب الذاتية وطريقة إدراك الناس للأحداث المختلفة . وهذا يعني أن الاستراتيجية الظاهرية تشدد على البحث الفردي Idiographic vesearch مثل هذا البحث يستعمل بشكل متكرر طريقة دراسة الحالة case - study إن بحوث ماسلو عن الشخص الذي يحقق ذاته يعتبر مثلاً واضحاً لذلك . والبيانات من هذه الدراسات والبحوث تعتبر تمثيلاً وصفيًا ومفصلاً للخبرات والتجارب الذاتية . إنها تزودنا بصورة غنية وعميقة للشخصية الفردية . ودراسة الأشخاص والمفحوصين بصفاتهم المميزة لتحقيق الذات ، يمكن للباحث أن يجمع بيانات تصف الخصائص والصفات المتعددة والشاملة للشخصية . وفوق ذلك ، إذا كانت هناك صعوبة في إجراء البحوث الفردية الذاتية فإنها أيضاً تزودنا بمعلومات ممكنة التطبيق على عدد كبير من الناس .

وكما هو الحال في التحليل النفسي ، فإن الاتجاه الظاهراتي غالباً ما ارتبط وتزامن بوجوده مع العلاج النفسي . فقد بدأ روجرز وكيلي عملهما وممارستها كعلماء نفس عياديين ، وطورا نظريتهما وطرائقهما في الشخصية وهما يعملان في المعالجة النفسية بنشاط . إن الاتجاه الظاهراتي ، يشدد أيضاً على تطبيق النظرية على مشكلات الإنسان العملية . وهذا سبب آخر لكون البحث ذات منحى تطبيقي . مثلاً ، طبقت نظريات روجرز وكيلي في العديد من المجالات والبياديين إضافة إلى المعالجة النفسية (الإكلينيكية) فقد كان لها تطبيقاتها الهامة في ميادين التربية ، والسياسة ، والتخطيط البيئي .

٥ - تغير الشخصية وعلاجها من الواجهة الفينومولوجية .

«phenomenological personality change and therapy»

في الاستراتيجية الظاهرية ، توصف الشخصية على أنها نتاج المدركات والتقويمات الذاتية ولذلك لكي يتم تغير الشخصية ونموها ، يجب أن تكون الخبرات الذاتية معدلة ، وهذا يتطلب مساعدة الناس ليكونوا أكثر وعياً لخبراتهم الذاتية وتأثير تلك الخبرات في سلوكهم في عملية التغير المقصود (العلاج النفسي الظاهراتي) ، فإن المتعالج (كمريض) client تقع عليه مسؤولية رئيسية في تعديل شخصيته . وقد افترض أن الناس يمكنهم تغيير سلوكهم وشخصياتهم الذاتية . وهناك طرق نوعية لذلك . على كل ، يكون الموضوع الرئيسي في ذلك هو التصميم الذاتي ، الذي تتميز به كل طرق العلاج النفسي الظاهراتي . وعلى ذلك فالمتعالج يعرف ذاته وخبراته الذاتية أكثر وأفضل من أي شخص آخر . ولذلك تقع عليه مسؤولية كبرى (العبء الأكبر) - أكثر مما يقع على المعالج - في عملية تعديل شخصيته وعلاجها السلوكي .

إن تغير الشخصية وعلاجها من الواجهة الظاهرية ، هي ذات توجه للحاضر وللسلوك الحالي بشكل رئيسي . فغالباً ما يكون التركيز على هنا والآن - and now here وهذا يعني أن الحوادث الحاصلة في العلاج تصبح هي المركز . ويضم ذلك ، كل أفكار العميل (المتعالج) ومشاعره خلال ساعة العلاج مثلاً ، قد يكون القلق الآني للعميل خلال المعالجة هو مركز النقاش . وكذلك يركز العلاج النفسي الفينومولوجي على المستقبل . إن التوقعات والمعتقدات والمدركات حول المستقبل (مع أنها تحدث بوضوح في الحاضر الذي يركّز عليه) تعتبر موضوعات متكررة وهامة في المعالجة النفسية الفينومولوجية .

* * *